مجلة العلوم العربية والإنسانية |E-ISSN : 1658-9602|
جامعة القصيم، المجلد الالكتروني (2)، العدد (1)، ص 141-187، (محرم 1445 هـ/ يوليو 2023) المجلد العام (17)

القراءات المعاصرة في رسالة ابن زيدون الهزلية
(دراسة في نقد النقد)

د. ياسر بن غازي الطيب
yasirgaltayeb@gmail.com
الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة، كلية اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(قدم للنشر في 1444/10/29هـ وتم مراجعتها في 1444/11/26هـ ،وقبل للنشر في 1444/12/7هـ ونشر في 1445/1/10هـ)

ملخّص البحث:

يهدف هذا البحث إلى مراجعة القراءات المعاصرة في نص نثري أندلسي؛ الرسالة الهزلية لابن زيدون، وهي رسالة تركت أثرًا واضحًا على الأدب والنقد قديمًا وحديثًا؛ بسبب متنيها: الرئيسي والفرعي، وانفتاحها على التأويلات.

وعلى الرغم من تعدد القراءات عليها؛ فإنها -القراءات- لم تأخذ نصيبها من المراجعة والنقد؛ فاخترت خمس قراءات تمثل نظريات نقدية مختلفة، تمكّن من الكشف عن التزام القراءات بالوعد النظري والممارسة التطبيقية، مستفيدًا من أسلوب مراجعة جوهانا ناتالي الذي يقوم على سؤال القراءة بالآتي: الأهداف، والمتن، والممارسة النقدية، وقد تناولت ذلك أثناء مراجعة القراءات المختارة، متتبعًا مدى تحقيقها مفاهيم القراءة، واستجابتها لمبادئها الكبرى، والإشكالات التي عرضت لها.

الكلمات المفتاحية: الرسالة الهزلية، ابن زيدون، قراءة، نقد النقد، نقد أندلسي.

A Study in Criticizing Criticism of Contemporary Readings in Ibn Zaydun's Comic Letter

Dr. Yasir bin Ghazi Altayeb

Department of Literature and Rhetoric, College of Arabic Language,
Islamic University of Madinah, Saudi Arabia

Reveived 19 May 2023; **Revised** 15 June 2023; **Accepted in revised form** 25 June 2023;
Online Published: 28 July 2023

Abstract:

This research intends to review present-day Readings in an Andalusian prose text; The Comic Letter of ibn Zaydun, a memorandum that left a flawless impression on literature and criticism, both ancient and contemporary. As a result of its main and secondary texts, and its extraversion to elucidations.

Albeit the profusion of Readings on it; The Readings - did not get their due portion of review and criticism. However, the research selected five Readings demonstrating different critical theories, which were able to divulge the Readings' obligation to theoretical aptitude and applied practice, got much out of Johanna Natali's review approach, which is based on the Reading question as follows: objectives, text, and critical practice. Meanwhile, the research has handled this while presenting the selected readings, and finally tracking the extent to which it attains the concepts of reading, its response to its key principles, and the hitches it incurred.

Keywords: The Comic Letter, Ibn Zaydun, Readings, Criticizing Criticism, Andalusian Criticism.

مقدمة:

يتناول البحث القراءة المعاصرة للنصوص القديمة، خاصة المحظية بالقبول مثل الرسالة الهزلية؛ وهي رسالة أنشأها ابن زيدون على لسان ولادة بنت المستكفي، تسخر فيها من منافسه في حبها: ابن عبدوس. اختار البحث هذه الرسالة بوصفها نصًا مفتوحًا بلا قراءة نهائية، مما جعلها أنموذجًا يناسب مقاربات الباحثين ضمن سياق القراءات المعاصرة.

حرص المهتمون بالنصوص القديمة على بقائها، واستعانوا على ذلك بمرونتها، واستجابتها للحاجات العصرية، الفنية والجمالية، وقد بذلوا في تقرير هذه الفرضية جهودًا واضحة منذ أكثر من ستة عقود.

وقد اطّلعت على جهود تعرض الرسالة وتطبق عليها عدة نظريات، كما لحظت أن هذه الجهود بحاجة إلى مراجعة تطبيقاتها للتثبّت من جدوى مراجعة القديم بالنظريات الحديثة، وتأكيد مواطن الإضافة إلى هذا النهج العلمي؛ فانتقيت خمس قراءات حديثة، وراجعت ما أنجزته عبر مقولة ناتالي التي تراجع: الهدف، والمتن، والممارسة النقدية، وكيفتُها وفق اشتراطات البحث، ملتزمًا بالإشارة إلى شواهد الدراسة من القراءات بالإحالة إلى مواضعها إيجازًا، وذلك في أغلب البحث عدا ما دعت إليه الحاجة.

حصر البحث قراءات الرسالة بين عامي 2008-2022م، مراعيًا في اختيار القراءات عدة جوانب، هي: معاصرة القراءة وحداثتها، وتمثلها هم القراءة تنظيرًا وتطبيقًا، وتعدد مناهج القراءات المختارة ونظرياتها؛ تجنبًا للتكرار أثناء المراجعة،

ونتيجة لذلك انتخب قراءات[1] تعكس نظريات مختلفة تتناول: الذات المبدعة، وانسجام النص، وتلقيه، وبنياته السردية، ومفارقاته بمفهوم النقد الجديد، ثم حاور بعد ذلك سؤال القراءة، وما بين التصور والممارسة، والوعد والإنجاز، وأهمية ذلك في جدوى مواجهة النصوص القديمة بالأدوات الحديثة، والموقع الذي تصبح فيه القراءة الجديدة فعلًا يحدث بين المنطلق النظري والفضاء التأويلي.

حاولَتْ قراءات الرسالة إبداع قراءة جديدة من حياكتها الأولى، فهي لا تخفي دوافع النزوع إلى أسلوب قراءة تجديدي، ومختلف، يمكّنها من الإجابة عن ملابسات الرسالة على ضوء احتفاء السابق بها واللاحق، ويكشف عن تماهي النص مع الحداثة والتأويل من خلال الحركية، واستفزاز الثابت، وتغيير العلامات المستقرة، وإضمار الأنساق، وانعكاس ظلال النصوص الأخرى عليه.

وقد واجهتْ القراءات رغم ذلك إشكالات صرحت ببعضها، ويرجو البحث استظهار ما لم تصرح به؛ وليتحقق له ذلك طرح الأسئلة الآتية: ما الهموم التي تستجيب لها تلك القراءات؟ ما دور المتن الهزلي في اختيار طريقة قراءته؛ بالنظر إلى دوافع القراءة، وتاريخ قراءة النص والهزل، وزمن القراءة المتجدد؟ ما المسافة بين المحددات النظرية، والإجراءات التطبيقية؟

وقد ناسب أن تعالج هذه الأسئلة من خلال **تمهيد** و**ثلاثة محاور**:

المحور الأول: أهداف قراءات الرسالة الهزلية.

المحور الثاني: متن الرسالة.

المحور الثالث: الممارسة النقدية. ثم **الخاتمة** وأهم **النتائج**.

---

(1) ينظر: القراءات المختارة صفحة 3 من هذا البحث.

تمهيد:

يحمل النص الرسائلي قدرة كبرى في التنصل من ظرفه وملابساته، وهو وسيلة تخاطبية ذات بعد تعبيري لا تقتصر على المرسل والمرسل إليه، فالرسالة الهزلية ليست بين ابن زيدون وابن عبدوس فحسب، بل ما يمثله ابن زيدون وابن عبدوس، لقد سُمي ابن عبدوس المرسل إليه مع أنها لم ترسل إليه وفق الطريقة التي يقتضيها التَّسَلُّم في الرسالة، ولا تذكر المصادر ما فعله ابن عبدوس ردًا على هذه الرسالة المحملة بالسباب وغليظ الكلام، وهي أقرب إلى البيان الإشهاري منها إلى وظيفية الرسالة، وعليه فاستصحاب البعد الشخصي الفردي لم يكن أمرًا ذا بال في المراجعات التقليدية، بل ظل النظر إليها من زاوية البعد الجماهيري، مما لا تحصر معه دوافع ابن زيدون وتأويلات النص. وهو ما يفسر ذيوع الرسالة عند المشارقة بعيدًا عن منبعها الأصلي، وكذلك عدم امتثالها لسنن الرسائل التي تحمل اسم المرسل والمرسل إليه في عنوان الرسالة أو ما يدل عليها، فوسمت بالهزلية، وهو وسم لم يضعه ابن زيدون، ولا يعرف واضعه، ويرجح أنه وضع بعد المقارنة مع رسالة أخرى للمؤلف نفسه تحمل طابعًا جديًا وأسلوبًا مناظرًا لها تسمى الرسالة الجدية.

عندما أخرج ابن زيدون رسالته تلقفها الشارحون والمعلقون، ولم تنفك عن ملكية ابن زيدون لها بمعادلة تقضي بأن النص ملك لابن زيدون، والشرح اجتهاد الشارح مثل ابن نباتة وغيره، لكن القارئ المعاصر وجد في السخرية طبقات تغريه بالتوغل فيها وسبر علاقاتها، فاستثمر نظريات القراءة ليخرجها من ملكية ابن زيدون إلى ملكيته هو.

تأخذ القراءة الجديدة قيمتها من اعتمادها على أكثر النصوص القديمة شهرة، لتكون مدخلًا لتأييد هذه الفكرة، ومنها رسالة ابن زيدون الهزلية، وقد ظهرت قراءات

عديدة عليها على ضوء مفهوم القراءة الجديد[1]، وعدت برؤيا تمنح النص أسئلته وفضاءاته عبر معالجات خلاقة، في امتثال تام لمفهوم القراءة الفعلي؛ فهي قراءة نشطة غير خطية، مخترقة، ذات منهجية منظمة ومرجعيات قائمة على قواعد علمية وفلسفية، وهي بهذا المعنى تتعالى على منظومات الشرح والتحليل، وتزيل احتكار الوصف والنقد وتزحزح سطوة النص على القارئ من منطلق أن القراءة تتجاوز وظائف الوصف والتفسير لتعري أنساق النص وتعيد بناءه[2]، وهي جزء من واقع

(1) القراءات التي اختارها البحث: الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، أ. ربيعة بن مخلوف، بحث ماجستير-جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الجزائر، 2008-2009م، الرسالة الهزلية: قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون، د. أدي ولد آداب، مجلة Al-Andalus Magreb- Cádiz Editorial UCA, SPAIN العدد 16- 2009م، صور من المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، د. إبراهيم منصور الياسين د. خالد سليمان الخلفات، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها-جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي، مجلد 9، العدد 2 - 2013م، تقاطعات البنى السردية في الرسالة الهزلية لابن زيدون، د.فريال عبدالرحمن العلي، مجلة العلوم الإنسانية-جامعة البحرين، العدد 26-2015م، ذخيرة النص وثقافة المتلقي- دراسة تطبيقية، د. شاذلية سيد محمد السيد، مجلة جسور-مصر، العدد 4- 2016م.

(2) ينظر: تودوروف، تزفيتان، ترجمة: أديوان، محمد، القراءة كبناء 106. للاستزادة حول القراءة النشطة ينظر: العيد، يمنى، الراوي: الموقع والشكل 13-18. مرتاض، عبدالملك، نظرية القراءة 14 وما بعدها، الدغمومي، محمد، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 270.

معاصر يرغب في تأكيد دور القارئ في إنتاج معارف جديدة حسب تفسير جابر عصفور[1].

من هنا انتمت قراءات الرسالة الهزلية إلى حقل البنيوية وما بعدها، كما أفادت من معطيات خارج النص مثل التاريخ والاجتماع وعلم النفس، فهي لا تتمحور حول نسق مدرسة كونستانس (ما بعد البنيوية ونظرية الاستقبال)، بل اعتمدت تداخل القراءة وفق اتجاه صحة القراءة السياقية[2].

ربطت القراءات ما ستقدمه بحالة دخول القارئ في حوار متبادل ومباشر مع النص، شريطة أن يمنح النص فرصة التأويل والقراءات المتعددة كما هو حال الرسالة، حينئذ يمكن للقارئ أن يكون منتجًا ثانيًا للنص، وقد عولت في ذلك على الوسيلة اللغوية بوصفها أفقًا لإنتاج قراءة عبر التفسير والتأويل، واستنطاقها وإعادة تشكيلها، فتتجاوز لسانيات النص التقليدية إلى الاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وآثاره، والتفاعلية بين المبدع والمتلقي، واختلاف المتلقين والقراءات بما يجعل قراءة الرسالة الهزلية قراءة (منتجة)[3].

---

(1) ينظر: عصفور، جابر، قراءة التراث النقدي 19.

(2) ينظر: العيد، يمنى، الراوي: الموقع والشكل 17، حمداوي، جميل، نظريات القراءة في النقد الأدبي 11.

(3) ينظر: بن مخلوف، ربيعة، الانسجام النصي 12،21، ولد آداب، أدي، الرسالة الهزلية قراءة في الوجه الآخر 228،229، الياسين، إبراهيم، والخلفات، خالد، صور من المفارقة 207،209، العلي، فريال، تقاطعات البنى السردية 372، السيد، شاذلية، ذخيرة النص وثقافة المتلقي 448.

آمنت هذه القراءات بمحاورة النص، مراوغة بذلك كلفة النقد، ساكنة موقع القراءة، مجمعة أن هذه الحركية التي تتمتع بها ليست أكثر من (محاولات قراءة) مما يعطي القراءة موقعًا جديدًا لكنه غير نهائي.

يمكننا مراجعة تطبيقات هذه القراءات، والتأكد من مشروعية أدواتها التأويلية حين نتساءل أمام القراءة حول ثلاثة أمور جوهرية هي: **الهدف، والمتن، والممارسة النقدية** بالإفادة من مقولة **جوهانا نتالي**[1]، وهذه القضايا الأساسية هي التي تحدد مدى التزام قراءات الرسالة بوعودها.

يعتبر **الهدف** نظامًا قبليًا يحرك القارئ لاقتحام النص، وهي غاية ينبغي للمراجعة الكشف عنها، غير أن الكشف عن أهداف القارئ مسلك عسر، وهو ما لخصه لحمداني في: سلطة المنهج المفرد، أو التفاعل بين المناهج داخل القراءة الواحدة، يتعلق بذلك إشكال آخر وهو قدرة الكشف عن المناهج في القراءات التي لم تُصرح بمنهجها، وهنا سيلتزم البحث بما اعتمدته ناتالي وهو التوجه نحو قائمة مصادر الدراسة ومراجعها للكشف عن منهج القراءة، إضافة إلى ذلك مدى انسجام النظرية المنهجية مع الأصول التي أخذت منها[2].

يقود تحديد الهدف إلى فهم سبب اختيار **المتن**، والمتن في نقد النقد بحاجة إلى تبين حدوده، بسبب تفرعه إلى متن أساس، ومتن فرعي، والعلاقات بينهما، ويفيد تحديد المتن الفرعي كثرة أو قلة، عمقًا وسطحية في تحقق نتائج البحث والسيطرة على اتجاه

---

(1) نقلا عن لحمداني، حميد، سحر الموضوع 17، لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي 120.

(2) ينظر: نقلا عن ناتالي: سحر الموضوع 18.

القراءة، وتكمن أهمية المتن الفرعي في إسهامه في تحقيق نتائج مهمة، وهي مسألة تعود إلى منشئ القراءة أثناء عملية اختياره النصوص المنتقاة[1].

يبقى بعد ذلك **الممارسة النقدية**، وتقوم على مبدأ **(المطابقة)** بين الشقين: النظري والتطبيقي، ومدى انحرافها، وقصورها، وأخطائها[2]، وهي مسألة ينبغي التوقف عندها: "ترى جوهانا ناتالي أن الناقد يمكن أن يدعي العلمية في التحليل، غير أن الممارسة قد تتضمن كثيرًا من العمليات الحدسية التي تتحرر من كل القيود العلمية"[3]، وقد وضعت ناتالي التقنيات التي تعين على مراجعة التحليل، وهي الوصف، والتنظيم، والتأويل، واختبار الصحة[4]، وسيتتبع البحث ذلك في موضعه، إذ تعين هذه التقنيات على تتبع درجات القراءة في الممارسة النقدية.

المحور الأول: أهداف القراءة

تتحدد هوية القراءة بالتزامن مع محفز إعادة إنتاج النص، ومع أهمية المحفز الجمالي فإن ما دفعنا للقراءة يدفعنا لاستخراج العالم وإعادة كتابته بمحفزات عديدة ليس الجمال وحده محورها، وبذلك لا تتعامل القراءة مع النص لتفسيره، بل تأويله من منطلقات محددة ذات ارتباط وثيق بسلسلة القراءة، تضع الأسس النظرية وتوجه المتن، وهو ما يعنيه بو عزة بقوله: "كل قراءة تصدر عن موقف ورؤية، حين تموضع النص

(1) ينظر: المرجع السابق نفسه.

(2) ينظر: سحر الموضوع 19.

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) ينظر: المرجع السابق نفسه.

نظريًا ضمن منظور معين"[1]، على الرغم من هذا فإن القراءة بحث عن الانعتاق والتحرر، وإخفاء للأدوات التي تتحكم بها مثل هم الكتابة، ما يؤدي إلى عدم تصريح بعض المحاولات بمحرضاتها، لكن النظرة الفاحصة قادرة على كشف منظومة مضمرة من المصطلحات والعناوين والمرجعيات[2]. لا تتعلق القراءة بذكر سبب اختيار الرسالة، بل بكونها مخزن إجابات يقبل التعدد، وهي مع ذلك ستموضع النص ضمن منظور معين، سيحدد هذا المنظور المدى الذي تستجيب له القراءة والمرونة التي يوفرها الجانب النظري؛ وهو المنظور الذي يحرك الناقد للإقدام على تحليل النص، وتحديد المنهجية المتبعة، كما تحدد لدى ناتالي في الآتي: "منها ما يوجه اهتمامه إلى ذات الكاتب، ومنها ما يركز على الدلالة الاجتماعية أو التاريخية، وأخيرًا ما يهتم بمكونات النص الداخلية"[3]، لذا انطلقت القراءات من منظور قيمة الرسالة المفقودة بالاستناد على الإجراءات الثلاثة الآتية:

1- أثر الرسالة الفني:

أكدت القراءات أهمية وضع قيمة جمالية ضمن حاجة البحث في الرسالة، وعلى القيمة أن تنبع من الداخل لا من الخارج، وهي متجددة لا يمكن حصرها أو التنبؤ بها، مثل قدرة الرسالة على التخلص من آثار الانفعال الذي صاحب لحظة ولادتها، إذ لم تظهر آثار النزعات على بنيتها بل ظهرت جماليات الاستقرار بالمعنى الإيجابي (النفسي)، في الوقت الذي يتذبذب فيه النص وهو يصنع انشطاراته الساخرة من

(1) بو عزة، محمد، تأويل النص 17.

(2) ينظر: سحر الموضوع 18.

(3) ينظر: نقلا عن ناتالي: المرجع السابق 17.

الواقع والمنافس، وضحته (قراءة في الوجه الآخر): " أضفى عليها حرارة التجربة الصادقة دون أن ينفجر تيار الانفعال الجياش داخلها"[1].

تقول القراءات إن ثمة إمكانات جمالية أخرى لم يلحظها الآخرون (التقليديون)، فأطلقت أحكامًا بلا أدلة كافية؛ من ذلك أن النثر الأندلسي، بل العربي لم يعرف "نصًا يتلبس فيه مؤلفه صوتًا سرديًا أنثويًا حقيقيًا سوى الرسالة الهزلية"[2]؛ مما يصهر القراءة في إمكانات فنية النص، وتداخلاته، على محددات ثقافية خالصة. والزعم بأن في الرسالة من التفوق الفني ما أدى إلى ظهور خلق فني أندلسي اسمه الزرزوريات، يأتي هذا التفرد من مخالفة الرسالة لمقضيات الترسل المعهودة، والانفتاح على نوعي الشعر والسرد[3].

لم تجاوز القراءات هذا الحد إلا بالإشارة إلى عموم كونها ثروة أدبية وبلاغية، وأنها تحيل إلى علامات نحن في أمس الحاجة إلى فك شفراتها.

2- الإقناع بقيمة الرسالة:

ستتذرع الدراسات المعنية بالرسالة الهزلية ببعض الحجج تأكيدًا على القراءة، ويظهر الإقناع بمنطق الرسالة بناء على سلطة الإجماع، فانكباب المتقدمين عليها والمتأخرين شرحًا وتحليلًا يعني نقل حظوة الجماعة إلى الرسالة، وبذلك اندفعت القراءات إلى الاستشهاد بالسابقين ووضعهم مداخل لمقاربتهم؛ فبكثير من الإجلال يُذكر أن الرسالة حظيت بخمسة شروح وترجمات إلى اللاتينية والإنجليزية والإسبانية

(1) قراءة في الوجه الآخر 228.

(2) تقاطعات البنى السردية 372.

(3) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 233، تقاطعات البنى السردية 377.

والألمانية والروسية[1]، ومع هذه الجهود فإن الرسالة ما زالت -باعتقاد القراءات- بعيدة عن حقيقة جوهرها، وهذا الدافع مقصد أساس في الوقت نفسه، إذ لم تُقل الكلمة الأخيرة بشأن الرسالة.

ولو نظرنا إلى ما كتبه الشارحون وما أضفوه عليها من تقدير سنلحظ انتقاله إلى القراءات الجديدة؛ فأثر (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ظاهر عليها، يضاف إلى ذلك وقع اسم ابن زيدون في مسألة الكتابة وهو ما سيوظفه القراء عند الحديث عن رسالته حين يقدمون له ولموقعه الأدبي بصورة موسعة.

سينتقل الإقناع بطاقات الرسالة الجمالية لدى (تقاطعات البنى السردية) من منطقة النص إلى خارج النص، أو الانخراط في إشكالية الأسبقية، وجدلية المشرق والأندلس (التأثر والتأثير)، والكشف عن مكنونات النص وبنياته الفرعية في سبيل وضع النص الأندلسي في موقعه الذي يستحقه، وهي الهم الأكبر؛ إذ يتأكد بطلان مقولات التبعية والاستنساخ. وعدم قدرة الرسالة على انتزاع حقها شعور يتردد على امتداد تاريخ من المراجعات والقراءات فالرسالة ظُلمت لأن التطبيق وقع في إشكالية النظرة الأولى، والزاوية الواحدة، والتناول تحت الإطار الشكلي (الرسالة الأدبية)، وهو ما ستحاول القراءات الخروج عنه[2].

3- تجديد أفق الرسالة:

عدَّت القراءات الخمس الهم التجديدي همًا مشتركًا، وسيصحب هذا الهم مسألة النظر إلى النصوص المتقدمة بأدوات جديدة قد تجيب عن شيء؛ فالدرس التقليدي لم

(1) ينظر على سبيل المثال: تقاطعات البنى السردية 376، قراءة في الوجه الآخر 235، الانسجام النصي 8، صور من المفارقة 209.

(2) ينظر: تقاطعات البنى السردية 372- 377.

يبح بقدر مقنع من أسرار النص، وهكذا ستكون لسانيات النص تجديدًا في المنهجية البحثية والبعد النتائجي؛ فنحو الجملة متغلغل في الدراسات التقليدية، وسيظهر الجديد عند كشف النسيج النصي والمتشابك بين الجمل، بل إن الواجب العلمي يقضي زيادة الأعمال اللغوية النصية[1] من أجل التأكيد على الجديد والمختلف.

يمتد هم التجديد إلى الالتباس بالهم الشخصي في بعده الأيديولوجي، وتصبح الرسالة جزءًا من التعبير الفردي عن فكرة الإبداع، فتتوشح الرسالةُ القناعاتِ الذاتية، بل إن الرسالة ستتفاعل مع هذا القارئ لتقول ما يقوله، وإعجابه بالرسالة مرحلة تظهر ضمن هم التجديد/الشخصي، وتتجاوزهما عبر تقرير الاختيار ومرجعيات التطبيق التي ستلتزم القراءة بها. فنجد قراءة تقول: "تسعى هذه الدراسة إلى استنطاق هذا النص السردي بصوته الأنثوي وتفكيك بنيته والبنية الموازية له والبنى الفرعية المتداخلة فيه للكشف عن مكنوناته، وتحديد طبيعة الموجهات الخارجية التي مارست سلطتها عليه"[2] وسيتحكم بالنص صراع بين أنا/ أنت التي توازي الأنوثة/الذكورة.

لا يعني الوعد بالمختلف أن المنهجية جديدة، ولكنه يعني استيفاء القراءات اللاحقة للنقص السابق، يبدو هذا من تطبيق نظرية مختلفة يتوسل بها إلى نتائج مختلفة، فنتائج التحليل ليست رياضية، بل متغيرة ديناميكية بتغير المتلقين وأحوال المتلقي نفسه، وإثبات نصية النص تثبت قابليته الكبرى للتأويل، ولن يتم له ذلك إلا من خلال تحديد نسبة الترابط والتماسك[3]. كما تمحور الوعد بالمختلف حول التركيز على الوجوه غير المتداولة؛ وغير المتداول قد يكون عند المرسل (ابن زيدون) الذي سيكون هذه المرة

---

(1) ينظر: الانسجام النصي 10، 14، 18، ٢٣.

(2) تقاطعات البنى السردية 372.

(3) ينظر: الانسجام النصي 41، 56.

متقنعًا بقناعه الساخر على غير ما عرفناه عن ذي الوزارتين، وهذا يعني سلوك طريق مختلف عما وقعت فيه الدراسات السابقة من عدم جرأة على مواجهة النص، والاستغراق في الإحالات التاريخية والثقافية، فقراءة الرسالة قراءة جادة يعني تجاوز الماضي وعدم إيراد قيل وقال، واقتحام هذه المغامرة اقتحامًا شجاعًا[1].

ولتنفيذ هذا الوعد جربت القراءات طرقًا مختلفة تكشف ملامح غير بارزة، وأكدت أن الجانب الذي يمكن مقاربته من صلب الرسالة يكمن في براعة الكاتب وسعة أفقه وصلته بتراثه التي تواجه أفق توقعات قارئه؛ بينته قراءة (ذخيرة النص): "يبرز دور المتلقي في ممارسته لفعل القراءة متوسلًا بخبراته في التعامل مع هذه الذخيرة النصية"[2].

كل هذه القراءات تعد بالإنتاج، وتؤكد على دور المتلقي الذي يعد وحده المخول القادر على دخول النص الذي يجمع الماضي والآني، والغائب والحاضر، ومفارقاتها.

---

(1) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 229، 248.

(2) ذخيرة النص 447.

المحور الثاني: متن الرسالة

تستجيب دوافع القراءة لهموم القارئ، وبين منطقة الدافع والهم يولد المتن الجديد مصحوبًا بشرطية خلوه من انعكاس النصوص عليه، بينت ناتالي أهمية تحديد المتن (وهو هنا الرسالة وقراءاتها) من خلال كونها عملية أساسية أثناء المراجعة، ذلك أن التطبيق قد يتجاوز المتن الأساس، إلى نصوص أخرى تتقاطع معه[1]، في قراءات الرسالة الهزلية تظهر محاولات واضحة للتحرر من تقاطع النصوص، وهي في الوقت ذاته تؤكد أن متن الرسالة (المتن المحوري) يحيل إلى علاقات النص مع الخارج الموجه له، وأن هذا الأمر أصيل في تركيب الرسالة كما نبه إلى ذلك القلقشندي: "فلولا المعرفة بالتاريخ والإحاطة بالوقائع والسير والأقاصيص والأمثال السائرة في معنى ذلك لما تأتى للناثر الاقتدار على سبك هذه الوقائع والتلويح بمقتضياتها"[2]، يندرج صنيع ابن زيدون هذا في سياق وضع الحجب والإحالات التي تشغل القراءة عن استقلالها، وقد وسَّعت قراءات الرسالة النطاق النصي للرسالة؛ بسبب تخطيها جنسها النثري ورسائليتها إلى سياق من المركبات والعوالم السردية مثل سردية الكاتب، وسردية السخرية، وسردية التاريخ، ولم تبرأ من الانعكاسات الأخرى، ثمة نصوص موجهة لمتن الرسالة وتؤثر فيه وهي التي عبر عنها لحمداني بالاستغراق، والأساسية والهامشية، والتعددية والواحدية[3]، حضرت هذه الموجهات في القراءات، وأكدت أن نواة المتن الهزلي ممتزجة بنصوص أخرى يطلق عليها (المتن المرجعي) وجاءت على النحو الآتي:

---

(1) ينظر: نقلا عن ناتالي: سحر الموضوع 18.

(2) القلقشندي، أحمد، تحقيق: طويل، يوسف، صبح الأعشى في صناعة الإنشا 536/1.

(3) ينظر: سحر الموضوع 18.

1- التعالق التاريخي: تحيل جميع القراءات المعنية بالدراسة إلى عتبة مهمة في الرسالة، يصبح فعل توجيه الرسالة فيها نصًا آخر يوازي النص الأدبي، فيوضع المتن التاريخي بجوار الأدبي على سبيل علاقة متعاطفة أو مضادة أو محايدة.

تدخل (الرسالة الهزلية) ضمن منجز ابن زيدون الرسائلي ذي العناوين الدالة مثل الرسالة العبادية والرسالة العامرية، والرسالة البكرية، ولكن الرسالتين اللتين تفوقتا على غيرهما هما: الرسالة الهزلية، والرسالة الجدية؛ الأولى على لسان ولادة تسخر من ابن عبدوس، والثانية في استعطاف أبي الحزم بن جهور ليخرجه من الحبس، ولطالما رمي ابن عبدوس بسعيه خلف حبسه هذا انتقامًا لما بينهما من منافسة. يعود ذيوع الرسالتين -دون غيرهما- للتضفير العميق بينهما، فأقدم الرسالتين: (الهزلية) المكتوبة وقت الرخاء، والثانية: (الجدية) المكتوبة وقت الشدة، الأولى: تجعل ابن زيدون ساخرًا لا يتورع عن ذكر مساوئ خصمه من خلال مثالية قيم الحق والخير، والثانية: تقدم حجج العفو المستحق نتيجة موضوعية براغماتية.

يثير إعجاب القراءات دمج الرسالتين معًا لارتباط أسبابهما، فتحقق بذلك رغبتها في ملء ما بين الهزل والجد[1]، إذ يبدو الهزل ضدًا للجد، ولكنهما في الآن ذاته أوفق ما يكونان إذا اجتمعا.

ثم يشترك في الرسالة ثلاثة رموز تاريخية؛ وزيرا قرطبة وابنة الخليفة ولادة بنت المستكفي، في ظرف قرطبة الصعب الذي خلع بعده الخليفة، وهو حدث غير طبيعي مهد لأحداث غير طبيعية فانحصر صوت الصراع بين رأيين: بقاء بني أمية، أو

(1) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 231، وتقاطعات البنى السردية 375، وذخيرة النص 451.

الاستغناء عنهم، وقد انتصر الصوت الأعلى فقامت دول الطوائف، وحكم أبو الحزم بن جهور قرطبة.

يضعنا هذا التأطير الزمني أمام تحولات كبرى أدت إلى مسلمات تؤكد الانسجام بين المدونات -الأدبية والتاريخية- والحدث التاريخي منذ مرحلة سقوط الخلافة الأموية (الرمزية) إلى دخول عصر الطوائف 422-484هـ[1]، تسببت التحولات في تجاوز البنية الظاهرة إلى أخرى عميقة تتجاوز الظرف إلى منطقة تتحول فيها القيمة الفنية ويغيب العالم الذي يخلقه الشاعر، ليقوم على أنقاضه عالم جديد يباشر الواقع ويجترحه بأساليب أكثر صراحة.

تستثمر القراءات هذه المرحلة، وتعتمد على انتقال ابن زيدون إلى خدمة البلاط الجهوري انتقالا رمزيًا من الخيالية إلى الواقعية، ومن الشعر إلى النثر، ويجاور النثر الشعر في موقف التلقي، وليصبح ابن زيدون ناثرًا أكثر منه شاعرًا مؤكدين على ما وصفه به الكلاعي وابن خاقان وابن بسام وغيرهم من المتقدمين[2]. لهذه النتيجة أثر واضح في توجيه المتن، فالمتن غير معزول عن مؤلفه، بل إن ربطه بالمرحلة التاريخية التي تفرض التحول الفني أصبحت واجبًا لا يصح تجنبه.

خرجت الرسالة عن الرسائل الأدبية التقليدية (الإخوانية) إلى الرسالة ذات الصبغة الاحتفالية، تحرض على منافس ابن زيدون في ولادة، وتستعمل أساليب الإثارة في

---

(1) لمزيد من التفصيل ينظر: عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس 666/2-٦٦٨، ٢٠/٣، ٤١٨.

(2) ينظر: تقاطعات البنى السردية 374.

سبيل ذلك وهي سمة واضحة عليها. فالرسالة احتفالية قدر احتوائها على المثيرات الجماهيرية، وهو ما سيلقي بأثره على الدراسات أيضًا، ستلاحظ هذه المثيرات في[1]:

-السخرية من الآخرين وتعريتهم والكشف عن مساوئهم النفسية والجسدية.

-استحضار نصوص سابقة، وسرديات قديمة يستوعبها الجمهور بمستوياته الثقافية المختلفة.

-اشتمال الرسالة على البوح إثر تجربة عاطفية بين أطراف الرسالة وهم: ابن زيدون، ولادة بنت المستكفي، ابن عبدوس. فقد كان ابن زيدون متيمًا بولادة، ثم انحرفت عنه إلى ابن عبدوس، مما أشعل المنافسة بينهما. أما المفارقة فهي اختيار ولادة لابن عبدوس ردًا على مفارقة تعلق ابن زيدون بجاريتها، وهذا ما ذكرته جل المصادر[2].

هذه المثيرات الجماهيرية الآنية أكدت موقعها في توجيه القراءة، فاستصحاب الواقع التاريخي مسألة تلح عليها القراءات، وتوجه تأويلاتها، فبنية المفارقة مثلًا لا تتجاوز أطروحات الصراع الطبقي الأساسية حين يتلازم الثراء والفقر الأخلاقي: "يكشف الوجه الحقيقي لخصمه؛ بإبراز المفارقة بين ما يتظاهر به من ثروة وجاه وكبرياء وزينه، وواقع حاله الفعلي"[3]. ومع انفتاح القراءات على التاريخي والتناص، فإن القراءة البنيوية للانسجام النصي تتحرك من بنيات النص إلى التاريخ، في صيغة انفتاح

(1) ينظر: الانسجام النصي 8، قراءة في الوجه الآخر 233، تقاطعات البنى السردية 378، ذخيرة النص 451، صور من المفارقة 210.

(2) للاستزادة ينظر: الشنتريني، ابن بسام، تحقيق: عباس، إحسان، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 431/1.

(3) صور من المفارقة 216.

واضحة، وانغلاق تام مع نصوص أخرى، وهي لا تعزل البنية عن كاتب الرسالة والفعل التاريخي، بينما تعزله عزلًا صارمًا عن النصوص الأخرى فجاءت معالجتها وفق الأنموذج الآتي:

بنية النص ← النص التاريخي ← بنية النص.

السخرية ← السياق الاجتماعي ← السخرية[1].

2- التعالق النصوصي: تأتي قراءة الرسالة ضمن معطيات نصية متشعبة، فالرسالة الهزلية نص هزلي مؤسس على الانفتاح على نصوص أخرى، وعلى تكثيف الإشارات ذات البعد الأسطوري والتاريخي والفني، بما يضمن تحقق السخرية من المسخور منه على صور سريعة ومتتالية تشبه الانقضاض على العدو بالرشق المتصل. يصحب هذا التأسيس معاناة البحث عن قارئ نموذجي، الأمر الذي جعل مراجعي الرسالة يبررون شرح ابن نباتة لها بأنه فعل يخط مسلكًا تعليميًا مهمًا[2]، وهي نتيجة تبنى عليها القراءات وقد جاءت على النحو الآتي:

2-1 تتبع النصوص: عنيت القراءات بتفكيك النص من خلال النصوص المكونة له، فهو بحاجة إلى ذخيرة تستجيب له، ولن تتم قراءته إلا بمفاتيح نصية مناسبة مثل العلوم الشرعية، وعلوم اللغة، والفلسفة، والطب، والفلك[3]، أضف إلى ذلك

---

(1) ينظر: الانسجام النصي 136.

(2) لمزيد من التفصيل ينظر مثلا: السيوفي، محمد، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري 444، والشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي 592، وضيف، شوقي، عصر الدول والإمارات-الأندلس 465، والشنطي، محمد، في الأدب العربي القديم 338.

(3) ينظر: ذخيرة النص 451 وما بعدها، وقراءة في الوجه الآخر 241، تقاطعات البنى السردية 384.

اعتماده على سرديات القرآن والتاريخ والأمثال، يؤكد هذا التتبع الدقيق انفتاح التلقي على نصوص أخرى، تكوّن أفق توقعات لا يمكن بلا معارف مسبقة أن تمتثل أثناء القراء، مما يوقع القراءة في تعليقات شارحة تخفي فعل القراءة من قبيل: "كان زيد بن مهلهل فارسًا مظفرًا، وكان يملك الخيول، والسليك يلاعب الأسنة"[1]، "الصلح بين بكر وتغلب، الحمالات بين عبس وذبيان، انتصارات الحجاج وقتيبة"[2]، هذا العالم المنفتح يترك القارئ أمام الاحتمالات المتعددة، وذلك النسيج النصي يمكن إدراجه تحت المفارقة كون اللغة والتاريخ لعبة مفارقة في الأساس، أو تحت محددات الانسجام الظاهرة في قدرة القياس -النصوص السابقة- على بلورة السياق[3].

2-2 تذبذب موقع النص الأصلي: في مرحلة متقدمة من الانهماك في النصوص لن يصمد النص الأساس أمام النصوص الأخرى، فوفرة الاستشهاد تعني انخراط القارئ في نص هامشي تبدو السيطرة عليه صعوبة لا يتيسر للقراءة التخلص من تبعاتها[4]. يحيل انفتاح النص إلى فضاء القراءة الرحب وقدرته على البقاء والانتشار عبر نسيجه المحكم والتعددي، غير أن القراءة تدعو إلى إعادة النظر في موقع النص، فالمتن الذي يجب أن يتفرد أصبح خافتًا، بل منسحبًا أمام النصوص الأخرى وهو الذي في طبيعة أي قراءة سيكون أساسًا لا هامشًا.

تغيب ملامح الرسالة الهزلية حين ينصب الاهتمام على نص آخر تولدت منه مثل رسالة التربيع والتدوير للجاحظ، التي تحضر تحت عنوان (البنية الموازية) في قراءة

---

(1) الانسجام النصي 112.

(2) قراءة في الوجه الآخر 241.

(3) ينظر: الانسجام النصي 141.

(4) للاستزادة ينظر: سحر الموضوع 18.

(تقاطعات البنى السردية) فرسالة ابن زيدون على شبه إجماع تحذو حذو سابق[1]، وإن لم تكن واثقة من هذا الإجماع: "من المرجح أن ابن زيدون في رسالته هذه لم يقصد متابعة الجاحظ وتقليده، وإن كان الجاحظ ذا أثر كبير على الناثرين من بعده"[2]، ولكنه على أية حال قالب موازٍ: الجاحظ/ابن عبدالوهاب، ابن زيدون/ابن عبدوس، سيكون هذا القالب حاضرًا بوضوح في الكشف عن بنيات الرسالة لإعادة تركيبها.

في قراءة أخرى سينازع المتن الهزلي (الرسالة الهزلية) متن جدي (الرسالة الجدية)، فتجيء الموازنة في حيز إدراك المتلقي، وتدخل الرسالتان في صراع مواقع حول الآتي[3]:

1- الذخيرة المعرفية للنص.

2- دور استحضار الغائب في تحقيق هدف الرسالة.

3- التناص.

أوقعت هذه البنود القراءة في إشكال التمحور حول المعرفة بالنص السابق، فمالت بالقراءة نحو الوصف والتفسير عن التأويل، وبقيت مسألة إثبات توافر الأنموذج أهم من موقعه من القراءة. لقد تحكمت النصوص الأخرى بمتن القراءة ولم تستطع التخلص من الآثار التاريخية والفنية السابقة، بل ظلت تسحب القراءة إلى موقع جديد بين النقد والشرح، وأصبح انفتاح الرسالة سببًا من أسباب انغلاق القراءة، التي قصدت التحرر من شروحات الرسالة وجهود السابقين.

---

(1) لمزيد من التفصيل ينظر: تقاطعات البنى السردية 387.

(2) المرجع السابق 389.

(3) ذخيرة النص 451.

المحور الثالث: الممارسة النقدية

تحدد دوافع القراءة، ومتن النص تمثلات القراءة، وهي التي يلحظ في أثنائها استحضار المبادئ الكبرى المؤسسة للقراءة مثل: قابلية التعدد والاحتمال والتفاعل والدينامية والنسبية[1]، وقد وضعت محددات نظرية للالتزام بها، واتفقت في تنظيرها على المرونة والتحرر من حدية المنهج، وهو ما يجعلها من حيث التصور قراءة إبداعية منتجة أكثر من كونها كتابة علمية.

اتخذت قراءة الانسجام النصي في الرسالة الهزلية حدود نظرية البنيوية التكوينية، وقراءة في الوجه الآخر وتقاطعات البنى السردية المنحى التفكيكي، وصور من المفارقة المنظور الدلالي، وذخيرة النص وثقافة المتلقي نظرية التلقي، ولم تذكر جميع القراءات المنهج وكذلك الإجراء سوى قراءة الانسجام النصي التي جعلت إجراءها الوصفي التحليلي، وقد اتفقت جميع القراءات على ذكر برنامج العمل بوصفه موجهًا للقراءة.

يمكن ملاحظة عدم ذكر المنهج في مقابل برنامج العمل، وبرنامج العمل لا يعد منهجًا وإنما يوجهه المنهج، وهو خطوات إنجاز المشروع، يفضي التباس المحددات النظرية إلى عدم إفصاح القراءة عن قدرتها على تحقيق أهداف البحث بأنجع سلوك منهجي، وحتى يتمكن البحث من مراجعة عقد القراءة؛ فإنه ينبغي عليه أن يواجه المقترح النظري بالتطبيقي وفق مبدأ المطابقة عند ناتالي[2]، وسيتم ذلك في خطوتين: عرض المقترحات النظرية للقراءات، ومدى تطبيق هذه المقترحات.

---

(1) للتفصيل ينظر: نقد النقد 278.

(2) ينظر: سحر الموضوع 19.

1- المقترحات النظرية للقراءات:

1-1 الانسجام النصي:

جاءت قراءة الانسجام النصي في حيز تحديد مفهوم الانسجام، وآلياته المعتمدة للقراءة، ثم ممارسة التطبيق عليها، وهي تحدد الإجراء الوحيد المناسب لهذه المعالجة وفق ثنائية الخطة والمنهج، وإذ تفرض طبيعة الخطة الإجراء المعتمد وهو ما سمته القراءة الوصفي التحليلي، وتعني بذلك تتبع عناصر البحث، وتعقب المفاهيم لضبطها، ثم عرض ذلك كله على قاعدة التجربة حين تطبقه على نظام الكلمة والجملة والفقرة[1]، أخذت القراءة الانسجام (التماسك) دون غيره من معايير النصية السبعة التي حددها بوجراند ودريسلر: "الربط، والتماسك، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية، والموقفية، والتناص"[2]. ترى القراءة اللسانية في لغة النص الأنساق الجامعة بين عناصر لغوية وأخرى غير لغوية، ووجوب كون لغته في حركية متفاعلة وهو ما تحققه اللسانيات أثناء تجاوزها الجملة إلى النص آخذة في الاعتبار إشراك القارئ في تلك العملية مما ينتج عنه أمران ضروريان: استيعاب دلالات ومضامين جديدة، وإفراز أشكال من الأبنية غير المحدودة[3]؛ هذه الأبنية غير المحدودة ستنعكس على إجراءات التطبيق، والمنهج المرشح لهذه الإجراءات غير واضح أو محدد في هذه القراءة. ومع ذلك فإن جدول العمل واستعمال مفاهيم مثل الإحالة والاستبدال والحذف والاتساق المعجمي يأخذ بالقراءة نحو المعالجة البنيوية.

---

(1) ينظر: الانسجام النصي ٢٣- 24.

(2) بحيري، سعيد، علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات 146.

(3) ينظر: الانسجام النصي 11، 12، 14.

كانت الغاية من القراءة الكشف عن مدى انسجام الرسالة وتماسكها محددة منطلقاتها النظرية على النحو الآتي: الاهتمام بالنص لا الجملة، التواصل مع النص بمختلف أشكال الاتصال، النظر في مكونات النص السياقية والظرفية والفضائية وتعالقاتها، مراعاة الكاتب والقارئ باعتبار أن الكاتب هو المنتج الأول للنص، والقارئ مشارك له. وسينفذ هذا الجدول عبر فصول: الفصل الأول: بيان إشكالات المصطلحات النص/ الخطاب، الانسجام/الاتساق/التوازي، الفصل الثاني: الانسجام وآلياته من المنظور البلاغي، والدلالي والبنيوي، الفصل الثالث: الجانب التطبيقي على الرسالة.

1-2 قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون:

وعدت هذه القراءة بمقاربة النص دون التفات لشخصية ابن زيدون إلا بما يفيد القراءة، فهي تشتغل بالمواجهة، ويلزم من هذه المواجهة الجرأة، وذلك لن يتم إلا بالخطوات الآتية: مواجهة النص واقتحام حرمه، إعادة تركيبه وبنائه، معرفة الميكانيزمات المستبطنة في مفاصل النص البنائية.

اتجهت القراءة إلى أطراف الرسالة: الكاتب، والكاتب الافتراضي، والمتحدث عنه، والمرسل إليه، وهي الأطراف التي يقوم عليها خطاب الرسالة، وحددت بناءه الهرمي في المقدمة والهيكل والختام، واشتغلت بتقاطع أصوات نسجت بعناية، وصور رسمت بذكاء فأنتجت: الصورة المثالية بشقيها: المزعوم والوهمي، والصورة المزرية وهي ترادف صورة الواقع، حين يُبنى الهزل على التصوير، وتصبح الصورة

صورتين: الصورة المتوهمة للذات، والصورة التي يراها الآخرون. ثم وزعت ذاكرة النص بناء على أسلوب الرسالة المحكم[1].

1-3 صور من المفارقة:

واجهت هذه القراءة النص بمفارقاته الكامنة والشاملة، وذلك في سبيل البحث عن جمالياتها الدلالية في الرسالة، وستتناولها الدراسة من خلال دراسة أنماطها وأبنيتها، مما يسبغ على النص "فرصة التأويل والقراءات المتعددة"[2]، ستحقق القراءة هذا من خلال: المفارقات اللفظية، ومفارقات التنافر البسيط، والمفارقات التصويرية.

1-4 تقاطعات البنى السردية:

تعلقت القراءة هنا بتفكيك البنية السردية للرسالة، ثم تحديد البنى الداخلية الفرعية لها و"الموجهات الخارجية التي مارست سلطتها عليها"[3] وهي تعيد تركيبها وفق محددات ثقافية خالصة، ومعتمدة على: الإحاطة بآليات الاستدعاء والاستبقاء، نقل النص من عالم التصور إلى التصوير، تتبع المستويين السرديين للنص: الداخلي من خلال السارد -ولادة لا ابن زيدون- والمسرود له (ابن عبدوس)، والخارجي من خلال المؤلف والقارئ، انتماء النص إلى عالم الممكن لا عالم الواقع على خلاف القراءات الاعتيادية؛ مما يمنح النص حيويته. تحقق القراءة برنامج العمل حين تمهد بمقدمات تتناول ابن زيدون في شقه السردي، ثم تحرك البنى السردية وفق القرب والبعد من محتويات الرسالة وسياقاتها، مكونة بحركيتها: البنى الرئيسة، والفرعية، والموازية.

---

(1) ينظر: قراءة في الوجه الآخر ٢٢٨- 236-242.

(2) صور من المفارقة 209.

(3) تقاطعات البنى السردية ٣٧٨.

1-5 ذخيرة النص وثقافة المتلقي:

عنيت هذه القراءة بالمتلقي بناء على كفايات المنتج: الكفاية اللغوية، والمنطقية، والمعرفية، والإدراكية، والاجتماعية. والمتلقي الحصيف بحاجة لمحاورة الرسالة وفك طلاسمها واستنطاقها وهو ما سمته (ذخيرة النص)؛ فالرسالة امتصاص لنصوص سابقة، وإحالات لقيم وأعراف اجتماعية، فاتجهت القراءة نحو المعارف التي حكمت إنتاج هذه الرسالة، وهي المعرفة الشرعية، والتاريخية، واللغوية، والمنطقية، والفلكية، وعلوم التجريب[1].

2- تطبيق المقترحات النظرية:

2-1 التقديم بالاعتذار:

ذكرت القراءات الإشكالات التي عرضت لها، فأعلنتها اعتذارًا مسبقًا لما يرد في التصور النظري أو التطبيق. يعني الاعتذار عدم الوثوق في القراءة، وهي وإن دلت على الالتزام بالاحتمالية والنسبية؛ فإنها لا تلائم سياق إنتاج القراءة، وإعلان الاعتذار بمثابة نتيجة غير معلنة عن قصور القراءة فضلًا عن قصور منطلقاتها، وقد تكرر الاعتذار حول أمرين أساسين:

أ- أسلوب مقاربة الرسالة:

مهدت القراءات باستشعار تاريخية النص وعراقته فأشارت إلى جوانب تتعلق بمحمولات الرسالة أو النظرية المختارة، وأن مقاربتها (ليست يسيرة) فثمة صعوبات ترتبط بالرسالة/النظرية: "إن الحديث عن النص وآليات التحكم فيه يعد أمرًا تكتنفه الصعوبة"[2]، وأن تكثيف الأداة الفنية في الرسالة جعل القارئ يرى في امتلاء الرسالة

---

(1) ينظر: ذخيرة النص 448-450.

(2) الانسجام النصي 22.

بالتصوير ما يعطيه الحق في الصمت أمامها: "ولكن عن أي ذلك أتحدث؟ والرسالة كلها صورة ومجاز واستعارة وتشبيه؟"، ثم يؤول الأمر إلى اعتذار واضح: "ومهما كان توجسي فإنني أستسمحكم أن أدعي أنني -من خلال هذا العمل المتواضع والمبتسر- قد فضلت استغلال قدراتي الذاتية الهزيلة، بدل التسلق على أكتاف الآخرين"[1]، سيمتد هذا القلق إلى أن يصبح الاضطراب النظري في هذه القراءات امتدادًا لاضطراب أكبر في التنظير النقدي العربي الموصول بجذوره النظرية الغربية، فحين تقلب القراءة مفهوم الانسجام تستعين بقول بشير إبرير في (أن تضافر المعارف يكوّن الظاهرة النصية)، كما تستعين في الوقت ذاته بموقف هيلمسليف نحو النص وأنه من جهة التعريف غير محدد، وتتبنى القراءة هذا الموقف للإقناع بأن نحو النص يفتقر إلى إثبات هويته، مما مهد للخلط بين النص/الخطاب، وتداخل مفاهيم الانسجام/الاتساق/الالتحام[2]. سيكون هذا التداخل الواضح في مفاهيم قراءة تعد بالجديد والمختلف والمتجاوز. علاوة على هذا فإن تحديد المصطلحات في القراءة ضرب من العناء الذي لا يصل إلى نتيجة حاسمة، فالمفارقة مثلًا: "تعددت تعريفاتها؛ حتى غدت مصطلحًا غامضًا، غير قار، متشعب الدلالة، ومتنوع الأنماط والصور، ومتعدد الصفات والخصائص، وصارت الإحاطة به أشبه ما يكون بالإمساك بالضباب"[3] تقديم المصطلح بهذه الكيفية وأثناء تأسيس قاعدة صلبة للقراءة سينتج عنه عدم اتباع منهجية صريحة لها محددات واشتراطات ومنظومة مصطلحات. ومع أن القراءات اختارت أسلوبًا يعتمد على كشف المصطلحات التي ستتناولها إلا أنها لم تخف هاجس

(1) قراءة في الوجه الآخر 246-٢٤٧.

(2) ينظر: الانسجام النصي ١٠-١٨، 46-53.

(3) صور من المفارقة ٢١٠.

المصطلح، تصريحًا أو ضمنًا؛ ولذا ستظهر عودتها عند كثير من المصطلحات إلى التراث لاستخراجها، في تأكيد على أن الاعتماد على الوافد الغربي أوقعهم في مشكلين: صعوبة فهم المصطلح على ما ورد في سياقه، وعجز استعمال الأدوات الجديدة لقلة المراجع العربية المعينة على القراءة[1].

ب- تحقق شرط القارئ:

أجمعت القراءات على حاجة المدونة إلى التسلح بمعارف عديدة، فقارئها نموذجي وينبغي أن يكون قادرًا على فك تقاطعاتها لتسهم قراءته في إعادة خلقها، سيكون هذا بمثابة ترسيخ لشرط القراءة فمتلقي الرسالة بحاجة إلى عمليات عقلية تمارس بحرفية ومهارة[2]. لقد وجدت القراءات ما يخلصها من تباين الكفاءة باختيار بعد واحد يعالج النص والتخلي عن الأبعاد الأخرى منه، وقد خول هذا الاختيار -المبني على الكفاءة- القارئ لأن يكون وريثًا شرعيًا لتلك النصوص[3] وهو ما يعني الارتداد إلى سطوة الرسالة على ذهن القارئ، وثقلها، والاعتذار عما يقصر فيه عن تتبعها، إذ يصور القرب منها مغامرة غير محدودة، مع إغفال أهم شروط الاستقبال وهي حرية القارئ وتمكنه من عمليتي: الإدراك المباشر، والاستذهان.

وبناء على ما سبق فإن الاعتذار عن قصور القراءة سمة واضحة في جميع القراءات وقد حضرت على صورتين: سياق القراءة وهي خارج قدرات المؤلف، وسياق الرسالة وهي خارج قدراته أيضًا، لم تستطع تلك القراءات أن تفرق بين الاحتمالية

---

(1) ينظر: الانسجام النصي 25، صور من المفارقة 211.

(2) ينظر: الانسجام النصي 25، وتقاطعات البنى السردية 378، وذخيرة النص 450، وصور من المفارقة 212.

(3) ينظر: الانسجام النصي 17، ذخيرة النص 456.

والتعددية في نتائج القراءة، وبين عدم الوثوق في قابلية الرسالة للقراءة بسبب قصور القارئ، أو عدم جدوى النظريات التي تستعملها القراءة.

2-2 إشكالات إجراء التطبيق:

2-2-1 التباس النقد بالقراءة:

بالرغم من وضوح أطر القراءة الكبرى، ومرونة مجالها؛ فإن التباس مفهوم القراءة عند قراءات الرسالة الهزلية أدخل في حيزها ما لا تتوفر فيه مبادئ القراءة، وما هو أقرب لإعادة تصورات النص من الفعل والإنتاج.

تعد القراءة من قبيل النقد، ولا يوجد نص نقدي بدون نص مقروء، ولا قراءة بلا ناقد، فليس المقصود بالقراءة الغياب في النص، بل استنطاقه[1]، ولذا قد يلتبس النقد بالقراءة ضمن مفهومياته، ويستجيب لها، فهو قد يتماهى معها، أو يرادفها، أو يتفرع منها، أو يعارضها[2].

تتحرك مراجعات الرسالة بين إشكال القراءة/النقد، ففي الحين الذي ترغب فيه قراءتها بتحقيق منهجية علمية صارمة لا تتجاوز الحدود إلا بمسوغات علمية كما هو حال النقد الأكاديمي؛ فإنها تزعم أنها قراءة جديدة، حرة وخلاّقة، وإن لم تسلم من ذنب القراءة، وتنفك عن مسبقات ومصالح للقارئ لا المقروء؛ وهو ما يظهر عندما ترتد (تقاطعات البنية السردية) إلى قضايا الجنوسة المحرك الأوحد لسردية الرسالة. وهو تحيز منتظر فرضته طبيعة النظريات الحديثة للقراءة، يقول جابر عصفور "لا توجد قراءة بريئة، أو محايدة للتراث"[3]، فالقراءة فعل يدخله التأويل، كما أنه غير منفك عن

(1) ينظر: العيد، يمنى، الراوي: الموقع والشكل 14، 16.

(2) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 272.

(3) عصفور، جابر، قراءة التراث النقدي 9.

تفسير المقروء، شرط عدم إلغاء التأويل[1]. لقد أدى هذا اللبس في فهم طبيعة القراءة إلى عدم التمسك بمنظور واحد نحو المؤلف، وهو موقف لا يجعل المؤلف فريد زمانه، وأن ما يقوله مطابق فعلًا لما يؤمن به، ولذا قال بو عزة: "إن سوء النية التأويلي هو ما يميز القراءة المنتجة باعتبارها فعلا تأويليًا حفريًا، ينتهك سلطة النص، بالحفر في المسكوت عنه، لأنها تفترض أن نيات المؤلف لا تطابق بالضرورة مقاصد النص"[2].

يتمحور مفهوم القراءة عند قراءات الرسالة الهزلية حول الحرية، فكانت فرصة للانعتاق من قيود الإجراء والمنهج مما أوقعها في تجاذب نزعتين: نزعة تلفيقية ونزعة توفيقية[3]، وسيظهر التنقل بين المناهج والتخليط بينها بعيدا عن حاجة القراءة إلى الإنشاء والمعالجة والنتائج، ويكمن خطر التحول بين المناهج في الانتقائية[4] والتي تفرز فيما بعد الانطباعية؛ التي وعدت القراءات بالتخلص منها، وهو ما يلاحظ في (قراءة في الوجه الآخر) التي لم تلازم منهجية واحدة وإنما قاربت النص بمنهجيات ذات نمط تلفيقي، وتكرر هذا الأسلوب في القراءات التي لم تصرح بمنهجها المعتمد. قد يعني التحرر التجاوز والتعددية بوصفه عملية تأويلية، غير أنه بلا استجابة لمبادئ القراءة الكبرى يتجه نحو القراءة الناقصة[5]، إن القراءة التي تتطلع "إلى إنتاج معرفة

---

(1) ينظر: المرجع السابق 18.

(2) تأويل النص 18.

(3) للاستزادة ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 146، وهي إشكالية ضمن النظام التنظيري والتطبيقي للقراءة، وسوى قليل من الدراسات، فإن العشوائية والتلفيقية سمة عامة للقراءات التراثية. ينظر: عصفور، جابر، قراءة التراث النقدي 24.

(4) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 331.

(5) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 278.

ملائمة بالنص، ببنيته وسياقاته، لا بد لها من تحقيق درجة معقولة من الوعي المنهجي"[1].

2-2-2 اضطراب التأسيس ونتائج القراءة:

لا تصح معرفة دون أسس مفاهيمية واضحة؛ فهي التي تكون المعرفة ونسق النظرية وبدونها لا يتحقق التنظير، ولا النظريات، ولا المناهج، ولا كفاءة التطبيق[2]. ينتج عدم وضوح التأسيس النظري للقراءة بسبب المراوحة بين النظرية بمنطلقاتها الحديثة وإرهاصاتها القديمة، مثل إقحام الإشارات الأولى بلا حاجة مثل (الإحالة التكرارية) بمفهوم الجرجاني و(الاحتباك) الذي وضعه السيوطي على الحذف والاسترسال، ومفهوم المفارقة التصويرية في قراءة (المفارقة)[3]؛ ما أدى إلى الاستغراق في سرد النظرية والاشتغال بالمفاهيم وإشكالاتها قديما وحديثا، فجاء قسم التطبيق في ثلث القراءة مقابل الثلثين للمفاهيم غير المستقرة[4]، أو الاشتغال بالاستطراد في شق نظري مسلم به مثل (السجع)[5]. أو التذبذب عند تحديد المصطلح كما في قراءة (المفارقة) فهي لا تحدد منطقة المصطلح الفارقة بين دلالات المفارقة اللفطية والتنافر البسيط، وحين يُفصل التنافر البسيط يحال إلى لغة التضاد، وهو ما يمكن إسناده إلى المفارقة اللفظية[6].

---

(1) تأويل النص 11.

(2) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 20.

(3) ينظر: الانسجام النصي 75، 81 وما بعدها، وصور من المفارقة 218.

(4) ينظر: الانسجام النصي 18.

(5) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 244.

(6) ينظر: صور من المفارقة 214.

هذا التعثر سيؤدي إلى الاكتفاء بمرحلة التفسير الموجه للرسالة دون حدوث انتقال جوهري لإنتاج القراءة، بل إن القراءات ستعتمد في كثير من ممارساتها التطبيقية على ظاهرتين لا تخلو منهما قراءة مع تعدد مرجعياتها: التناص[1] والتكرار[2].

هيمنت تاريخية النص على المرتكزات التطبيقية، فتوسعت القراءة في مسائل مسلمة مثل قدرة ابن زيدون النثرية، وأسبقية الرسالة، ومؤلفات ابن زيدون، وصحة نسبتها إليه، وتلقي الرسالة بالشرح والدراسة، والعلاقات الخفية بين رسالة ابن زيدون والجاحظ في التربيع والتدوير، ومسألة الشعر والنثر، والتأثر والتأثير مع المشرق[3] وهي على أهميتها فإنها لا تدعم منهجية القراءة المتبعة، بل تعارضها في كثير من مبادئها، والأهم من هذا أنها لا تخدم وعود القراءة وأسئلة المنهج.

ولئن كانت القراءة بحاجة إلى نظرية ومنهجية وجهاز اصطلاحي لتصبح مستوفاة، فالملاحظ أن هذه القراءات اقترحت خطوات القراءة بديلًا لإستراتيجيات المنهج، وغيبت المصطلحات الخاصة بحقل المقاربة، ففي (قراءة في الوجه الآخر) و(تقاطعات البنى السردية) و(ذخيرة النص) لا تحضر مصطلحات التفكيك أو التلقي في كثير من الممارسات مع استعمال القراءة لمفاهيمهما. يرتبط هذا بالوقوع في خلط تحديد المصطلح (الانسجام النصي) فيغاير الانسجام الاتساق في مواضع، وينوب عنه في مواضع

---

(1) حيث تجتر القراءة جميع النصوص السابقة على الرسالة. ينظر على سبيل المثال: قراءة في الوجه الآخر 236-241، وصور من المفارقة 214، وذخيرة النص 451.

(2) حيث تكرر القراءة ما سبقها من دراسات، أو تكرر ما ذكرته على طول القراءة. ينظر مثلًا: الانسجام النصي 104، وقراءة في الوجه الآخر 234، وتقاطعات البنى السردية 377-378.

(3) ينظر: تقاطعات البنى السردية ٣٧٦، ٣٨٨.

أخرى[1]، ويمارس تفكيك النص في سياق بنائيته[2]، أو يشرِّح فيرتد إلى مكوناته دون نقض الخطاب وهدمه[3].

أدى ذلك إلى الوقوع في شرك التقليدية التي حذرت منها القراءات، فهي تعد بأخذ الجانب الهزلي من شخصية ابن زيدون، وتميل إلى إثبات ملكات ابن زيدون النثرية والساخرة وهي لا تبدو مواجهة للنص بقدر ما ترسخ سياقات الرسالة[4]. وعندما لا تستقر الرؤية النظرية تغيب مرونة القراءة، ويحضر الالتزام الحرفي بالأوليات، وتؤطر الرسالة للقبض عليها وهو ما يخالف طبيعة النصوص التي تتمتع بانطلاقها وقابليتها التأويلية.

وهكذا لن تصمد هذه القراءات أمام عمليات اختبار الصحة بمفهوم ناتالي[5]، لتناقض نتائجها المستمر، بالإضافة إلى تكرارها ليس مع المنهج نفسه وإنما مع المناهج الأخرى أيضًا[6]. ومع أن بعض نتائج القراءات جديدة وغير نهائية، فإن ثمة نتائج وقعت في حسم النقد التقليدي: "إن هذا العمل عالج موضوعه بشكل مختلف عن

---

(1) ينظر: الانسجام النصي 84.

(2) قراءة في الوجه الآخر 229، 235.

(3) ينظر: تقاطعات البنى السردية ٣٨١.

(4) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 230.

(5) بهدف "إعطاء فكرة عن القيمة المعرفية المتولدة عن بنيان تحليلي معين، بما فيه من نظام وصفي وما يتصل بذلك أيضًا من وسائل الإقناع المستخدمة ثم ما ينتج في النهاية من تأويل". سحر الموضوع 23.

(6) من ذلك على سبيل المثال نتيجة البحث المكررة: الانسجام النصي 151، وقراءة في الوجه الآخر 247، وذخيرة النص 456.

المألوف، وقدم نتائج أعتبرها جديدة، تخدم روح النص"[1] ناقضة بذلك مبدأ الاحتمال والدينامية[2] التي يجب أن تستجيب لها القراءات.

يثري تعدد القراءة النص بشرط التعددية وعدم العودة إلى منطلقات واحدة لتكرير فكرة أولية، مثل قيمة السخرية والهزل في الرسالة؛ مما يدفع بالنتائج إلى أن تقول الآتي: "إن ابن زيدون بنى رسالته الهزلية؛ لمهاجمة خصمه ابن عبدوس بأسلوب هزلي تهكمي قائم على المفارقة"[3] أو "أن ابن زيدون الهازل ليس أقل أهمية من الجاد"[4]. أو تقرر نتائج مسلمًا بها مثل ثراء شخصية ابن زيدون وقدرته النثرية مع التبشير بنجاعة الدراسة البنيوية أو التفكيكية على كشف ذلك[5]، أو إدراج نظرية قارة ضمن نتائج القراءة النهائية مثل: "القارئ يتلقى النصوص، فهو يحاول فك رموزها باستخدام ما لديه من علوم ومعارف لمحاولة فهمها، وتفسيرها ومعرفة مقاصد وغايات المنتج، وهذا باستنطاق مكامنها، واستخراج مختلف القرائن المتوفرة فيها"[6].

هذه النتائج ذات التناولات المسبوقة مثل التناص والسجع والتقابل[7] تجهز على نوعية النص، وتقيم الأحكام الجاهزة على النماذج. وحين ينبغي على النص التعالي

---

(1) قراءة في الوجه الآخر 247.

(2) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 278.

(3) ينظر: صور من المفارقة 223.

(4) قراءة في الوجه الآخر 246.

(5) ينظر: المرجع السابق 246.

(6) الانسجام النصي ١٥١.

(7) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 241، تقاطعات البنى السردية 384، صور من المفارقة 214، ذخيرة النص 451.

على القراءات المضيئة لجانب منه فإنها تبتلعه، وهي لا تقول إنها نهائية ولكنها تجبره على تأويلات موحدة، مثل ربط عمليات الاستذهان القرائية بالوقائع التاريخية لإنتاج حقيقة جديدة يمثلها قول الأنثى في الرسالة؛ فيفسر الاستدعاء التاريخي بأنه: بحث عن رموز توفر لها "الإحساس بحماية رمزية متخيلة"[1]، وقد تحسم النتيجة الذاتية مخالفات الواقع التاريخي، فتأويل فعل ولادة مع جاريتها يختلف عن تأويل فعلها مع الجارية الأخرى التي صفعتها من أجل ابن زيدون، وهي هنا لا تصفعها وإنما تتعاطف معها[2]. ونتيجة للاضطراب في المفهوم والمنهج والمصطلح تأتي القراءة على خلاف أهدافها، وتسيطر القراءات السابقة على القراءة الجديدة وتوجهها إلى نتائجها دون تجاوز أو تخلص من السلطة السابقة على النص، بل يلحظ أن شرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون، وتناول السابقين لها أثّر في جميع القراءات ومارس سلطته عليها، فشرح ابن نباتة لإشارات النص ستكون نقطة انطلاق من النص إلى الشرح، ثم العودة من الشرح إلى النص. وقد تستجيب القراءة لسابقة تقول: إن التسليم بالبعد الفني التقليدي للرسالة يعمي عما تتوافر عليه هذه الرسالة من أجناس سردية وإن هذه الرسائل لم تكتب لقارئ ممكن قدر تعبيرها عن سنن التخاطب في زمنها[3].

---

(1) تقاطعات البنى السردية 386.

(2) ينظر: المرجع السابق ٣٨٠.

(3) ينظر: بن رمضان، صالح، الرسائل الأدبية 204، وبن رمضان، صالح، أدب الرسائل في التراث العربي 409-410.

تظهر مراجع القراءة نماذج التناول السابقة، وتغيّب المراجع النظرية المناسبة، بل تصل حد التناقض معها أحيانًا[1]، في ظل هذا التناول تحولت القراءة من كونها خادمًا للمنهج الحداثي ومالئة فراغاته إلى أن تكون ذات طابع اختزالي وتلفيقي[2].

ومع وقوع بعض الإشكال في التأسيس، إلا أن ثمة اقتراحات نظرية[3] تحتكم إليها وعود القراءة، وهي جدول العمل الذي ستلتزم به ولن ينحرف التطبيق عنها. ستخالف بعض القراءات طريقة التناول التي وعدت بها، ففي الوقت الذي ترى فيه أن العلاقة بين الاتساق والانسجام علاقة تكاملية تلازمية[4] فإنها تأخذ أحدهما وتترك الآخر، مع أن نصية النص لن تتحقق إلا بعد جمعهما.

تتلقف هذه القراءات النماذج التي تصف ما ترغب بقوله، فهي تقرأ القارئ أكثر من قراءتها النص، وهي تستخدمه وتدين ما عصي على إرادتها حتى خرجت من دائرة القراءة المنتجة إلى فخ القراءة الطامسة؛ فهي تطمس النص، والممكن، وتقيد الإبداع[5].

سيؤدي فقدان التمسك بغايات البحث إلى تأجيل وعد القراءة وتكريس المفاهيم السابقة حول الرسالة دون حل للأبعاد الهزلية التي يتمتع بها أسلوب ابن زيدون وسننه في الكتابة، وكيف كان أسلوبه انحرافًا يصنع الفقرة الهزلية، حتى في أثناء كتابته الرسالة الجدية.

---

(1) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 249، ذخيرة النص 457.

(2) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 277.

(3) ينظر: سحر الموضوع 19.

(4) ينظر: الانسجام النصي 57.

(5) ينظر: أدونيس، سياسة الشعر 52.

ستخفق بعض القراءات حين تلجأ إلى الأطروحات التقليدية مثل التعريف بابن زيدون في (ذخيرة النص)[1] وعزو المفارقة إلى التعليل التقليدي الذي يرى فيها رغبات انتقام كامنة كما في (صور من المفارقة)[2] وهي أولى علامات تحول الدراسة إلى المنتج لا المتلقي، وتكرار المعلومات التاريخية التي لا تخدم وعد القراءة.

3-2-2 الوقوف عند حدي الوصف والتنظيم:

التمست القراءات طريقها عبر إجرائين رئيسين لم تخرج عنهما: الانتقاء والتمييز؛ فالأول يقيس النص بما يتطابق مع المنطلقات التي اختارتها القراءة، وتهمل ما سواها وهو ما يُسمّى بالعملية الوصفية. والآخر يضع ملامح للقراءة تميز العناصر المنتقاة من النص، وتخضعها لمعطيات المنطلقات، وذاتية الباحث، وهي تندرج تحت قضية تنظيم القراءة[3].

عند هذين المستويين تتوقف القراءات دون غاية التأويل، ويتحدد مجالها على عتبات التوصيف بلا تفسير، فالفصل والوصل مثلًا من أدوات انسجام النص، فإن جاءت جمل بأدوات الربط دل ذلك على الانسجام، وإن جاءت غير مربوطة دل على انسجام أيضًا دون تمييز لدواعي ذلك الانسجام ومظاهره وأثره النصي[4]، فيصير النص منسجمًا لأنه لن يخرج عن جمل مترابطة أو غير مترابطة. ثم تؤول إجراءات النظرية إلى جمع المختلف وبتر النمط الواحد، ولا يعني هذا حصر النص قدر ما يعني

---

(1) ينظر: ذخيرة النص 449.

(2) ينظر: صور من المفارقة ٢٠٩.

(3) ينظر: سحر الموضوع 20، 21.

(4) ينظر: الانسجام النصي 104.

استخراج مكامن النص والدفع به إلى أقصى طاقاته. حضر هذا في قراءة (تقاطعات البنى السردية) إذ لا مانع من استخراج بنى مشابهة أخرى وعدّها رئيسة، وذلك بالنظر إلى تتبع البنى الفرعية في القراءة[1]، مع قابلية هذه البنى للانسحاب على النص الجدي فذلك دأب ابن زيدون ومن سبقه في استدعاء السرديات القديمة التي صارت تقنية كتابية في كثير من النصوص التي تؤذن بالخراب مثل البكاء على المدن المفقودة وطلب الفرج، أو النيل من خصم كما في هزليته؛ إذ يمكن كشف خصوصيات هذا الخطاب بالانطلاق من هزليته لا العكس. وفي قراءة (المفارقة) ينظر إلى النص باعتباره أشلاء موزعة، تستخرج منها القراءة ما يماهيها[2]، مغفلة الامتداد الكلي الذي يكسب المفارقة صفة الخطاب الاحتفالي.

إن الوقوف على حدي الوصف والتنظيم وضع القراءات في إشكالات تؤثر على طريقة تكوين البيانات[3]، فقاد ذلك إلى إشكالية أخرى وهي اختيار الأنموذج، ثم تكثيفه وإيجازه في نموذج لا يخرج عنه، يرجع هذا اللبس إلى صورتين تكوّن صورة قراءات الرسالة: الأولى تقع على عاتق المعايير الإجرائية؛ الفعل الذي يحدد علاقة القارئ بالموضوع مثل النقد التفسيري والتحليلي والانطباعي والفني، والأخرى على المعايير المنهجية حيث خصوصية الموضوع واكتسابه آليات اشتغال خاصة به مثل النقد الموضوعاتي والأسلوبي والشكلاني[4].

---

(1) ينظر: تقاطعات البنى السردية 384.

(2) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: صور من المفارقة 215، 218، 220.

(3) وهي هنا نماذج الدراسة وأمثلتها.

(4) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 238.

حاولت القراءات تنظيم ذاتها من خلال التركيز على "نظام الملامح المميزة للنص"[1] وهو أمر يرتبط بزاوية النظر للنص، وهي من تكسبه خصوصية مميزة يجب ألا ينحرف عنها الكاتب، وأن يستوعبها حتى يوفيها النظر. ولكن ينبغي ألا تتأثر القراءة بالقوانين الأساس[2] التي تمثل منطلقات ما قبل القراءة، لأن الملامح المميزة للنص مثل التناص والتقابل ستتسلل ضمن التنظيم الخاص بالقراءة[3].

يتحقق وعد القراءة عند التغلغل في إمكاناتها مثل دراسة البنية الاجتماعية المغلقة والسياق الثقافي كما وعدت القراءات إذ إن عنصرين أنثويين شاركا في هذه المهمة: الرسولة والساردة، ولم تفكك الخطاب الأنثوي بأبعاده الاجتماعية الموعودة، والأساليب المتوالدة من فكاهة قهر الغالب أو الانتقام منه. وأبعاد الرجل النفسية والجسدية التي تسقط وجوده الفيزيائي والروحي في حياة المرأة الأندلسية، وقراءة ولادة (ممثل التجربة الأنثوية) أكثر من قراءة ابن زيدون، ثم تتسع لتشمل بنية المجتمع لا ولادة وحدها. وهكذا تتجاوز النتائج مجرد الخبرة التي تتمتع بها المرأة المتحررة وهي تصف أدق تفاصيل الرجل كما ذكرت إحدى القراءات[4]، إن دراسة النص خطابًا أو نسقًا يحوي بنى مضمرة حول الوجاهة والأعراق والمرأة هو المنتظر بخلاف الاشتغال

---

(1) سحر الموضوع 21.

(2) مع أن القارئ "يعتمد على ما هو موجود داخل النص المدروس، إلا أن الناقد لا ينطلق في الواقع من لا شيء فثقافته الخاصة تتدخل في هذا المجال بشكل يكاد يكون أساسيًا". سحر الموضوع 20.

(3) ينظر: قراءة في الوجه الآخر 241، تقاطعات البنى السردية 384، صور من المفارقة 214، ذخيرة النص 451.

(4) ينظر: تقاطعات البنى السردية ٣٨١.

بالاقتباس والإحالات النظرية والقضايا الثانوية. إن أهم سؤال وجب على القراءات طرحه هنا هو ما مدى إنتاجية المنهج وقدرته على الفعل والتأويل[1]، قبل الانخراط في قراءة الرسالة بمناهج ملفقة تفضي إلى مسلمات راسخة.

الخاتمة

راجع البحث قراءات الرسالة الهزلية في السنوات الأخيرة، ووصل إلى النتائج الآتية:

- تمحور غايات قراءة الرسالة الهزلية حول الكشف عن جماليات النص، والمحاجة بمكانة النص المستحقة، والوعد بالمختلف، ومزاحمة النوازع الذاتية القراءة لإثبات فرديتها، فأصبحت مهددة بفقدان مبادئ القراءة الكبرى.

- تأثر قراءات الرسالة بانفتاح النص على المتن التاريخي والنصي، مما أدى إلى انغلاق الرسالة على المتون السابقة الرئيسة مثل الجنس الأدبي والتاريخ، أو الفرعية كجدلية الجد والهزل.

- اكتفاء القراءات بذكر جدول العمل والخطوات النظرية التطبيقية عن ذكر النظرية التي تنتمي إليها أو المنهج المنتج للقراءة، أو الأطر الإجرائية الكبرى؛ وبهذا فهي لا تتجاوز الانتقاء والتمييز؛ أي: عمليات الوصف والتنظيم.

- التباس محاولات القراءة بمفاهيم: القراءة والنقد أو صناعة القراءة، فغيبت بذلك أهم أدواتها التأويلية (الهيرمينوطيقيا)، وتذبذب عندها التأسيس النظري بسبب

(1) ينظر: نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر 26.

الوقوع في إشكالية تحديد أدوار القراءة والنقد ومفاهيمهما، وهو ما انتهى بالقراءات إلى نتائج مشتركة.

- لم تحقق وفرة قراءة الرسالة التعدد والانفتاح والتأويل، بل رسخت تفسيرات النص، وشروحاته، ومواضعاته السابقة.

قائمة المصادر والمراجع

مدونة البحث:

[1] بن مخلوف، ربيعة، الانسجام النصي في الرسالة الهزلية لابن زيدون، 2008-2009م، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر.

[2] السيد، شاذلية، ذخيرة النص وثقافة المتلقي-دراسة تطبيقية، 2016م، مجلة جسور العدد 4، مصر.

[3] العلي، فريال، تقاطعات البنى السردية في الرسالة الهزلية لابن زيدون، 2015م، مجلة العلوم الإنسانية العدد 26، جامعة البحرين.

[4] ولد آداب، أدي، الرسالة الهزلية: قراءة في الوجه الآخر لابن زيدون، 2009م، مجلة: Al-Andalus Magreb Cádiz Editorial UCA العدد 16، إسبانيا.

[5] الياسين، إبراهيم، والخلفات، خالد، صور من المفارقة في الرسالة الهزلية لابن زيدون، 2013م، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي، مجلد 9 العدد 2.

المصادر والمراجع:

[6] بن رمضان، صالح، أدب الرسائل في التراث العربي، صالح بن رمضان، مجلة علامات مج7، جزء 28، مطبوعات نادي جدة الأدبي.

[7] بو عزة، محمد، تأويل النص، ط1 2018م، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

[8] عنان، محمد، دولة الإسلام في الأندلس، الطبعة الرابعة 1417هـ/1997م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[9] الشنتريني، ابن بسام، تحقيق، عباس، إحسان، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، طبعة 1399هـ/1979م، الدار العربية للكتاب، ليبيا/تونس.

[10] العيد، يمنى، الراوي: الموقع والشكل، الطبعة الأولى 1986م، مؤسسة الأبحاث العربية.

[11] بن رمضان، صالح، الرسائل الأدبية 2001م، جامعة منوبة، تونس.

[12] لحمداني، حميد، سحر الموضوع، الطبعة الثانية 2014م، مطبعة آنفو برانت، فاس.

[13] لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، الطبعة الأولى 1991م، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر.

[14] القلقشندي، أحمد، تحقيق: طويل، يوسف، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، الطبعة الأولى 1987م، دار الفكر، دمشق.

[15] بحيري، سعيد، علم لغة النص- المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى 1997م، مكتبة لبنان ناشرون.

[16] عصفور، جابر، قراءة التراث النقدي، الطبعة الأولى 1994م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة.

[17]حمداوي، جميل، نظريات القراءة في النقد الأدبي، الطبعة الثانية 2020م، دار الريف، تطوان.
[18]تودوروف، تزفيتان، ترجمة: أديوان، محمد، القراءة كبناء، 1989م، مجلة الفكر العربي المعاصر ع61/60، مركز الإنماء القومي، لبنان.
[19]السيوفي، محمد، ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري، الطبعة الأولى 1985م، عالم الكتب، بيروت.
[20]مرتاض، عبدالملك، نظرية القراءة، ط2003م، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
[21]الدغمومي، محمد، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، طبعة 1999م، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء.

References

[1] Ibn Makhlūf, Rabīʻah, al-insijām al-naṣṣī fī al-Risālah al-hazalīyah li-Ibn Zaydūn, 2008-2009m, Risālat mājistīr, Jāmiʻat al-ʻAqīd al-Ḥājj Lakhḍar Bātnah, Kullīyat al-Ādāb wa-al-ʻUlūm al-Insānīyah, al-Jazāʼir.

[2] al-Sayyid, Shādhilīyah, Dhakhīrat al-naṣṣ wa-thaqāfat almtlqy-drāsh taṭbīqīyah, 2016m, Majallat Jusūr al-ʻadad 4, Miṣr.

[3] al-ʻAlī, Firyāl, Taqāṭuʻāt al-Buná al-sardīyah fī al-Risālah al-hazalīyah li-Ibn Zaydūn, 2015m, Majallat al-ʻUlūm al-Insānīyah al-ʻadad 26, Jāmiʻat al-Baḥrayn.

[4] Wuld ādāb, Adī, al-Risālah al-hazalīyah : qirāʼah fī al-Wajh al-ākhar li-Ibn Zaydūn, 2009M, Majallat : Al-Andalus Magreb Cádiz Editorial UCA al-ʻadad 16, Isbāniyā.

[5] al-Yāsīn, Ibrāhīm, wa alkhlfāt, Khālid, ṣuwar min al-Mufāraqah fī al-Risālah al-hazalīyah li-Ibn Zaydūn, 2013m, al-Majallah al-Urdunīyah fī al-lughah al-ʻArabīyah wa-ādābihā, Jāmiʻat Muʼtah, ʻImādat al-Baḥth al-ʻIlmī, mujallad 9 al-ʻadad 2.

[6] Ibn Ramaḍān, Ṣāliḥ, adab al-rasāʼil fī al-Turāth al-ʻArabī, Ṣāliḥ ibn Ramaḍān, Majallat ʻAlāmāt mj7, Juzʼ 28, Maṭbūʻāt Nādī Jiddah al-Adabī.

[7] Bū ʻAzzah, Muḥammad, Taʼwīl al-naṣṣ, Ṭ1 2018m, al-Markaz al-ʻArabī lil-Abḥāth wa-dirāsat al-Siyāsāt.

[8] ʻInān, Muḥammad, Dawlat al-Islām fī al-Andalus, al-Ṭabʻah al-rābiʻah 1417h / 1997m, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah.

[9] al-Shantarīnī, Ibn Bassām, taḥqīq, ‘Abbās, Iḥsān, al-Dhakhīrah fī Maḥāsin ahl al-Jazīrah, ṭ1399h / 1979m, al-Dār al-‘Arabīyah lil-Kitāb, Lībiyā / Tūnis.

[10] al-‘Īd, Yumná, al-Rāwī: al-mawqi‘ wa-al-shakl, Ṭ1 1986m, Mu’assasat al-Abḥāth al-‘Arabīyah.

[11] Ibn Ramaḍān, Ṣāliḥ, al-rasā’il al-adabīyah 2001M, Jāmi‘at Manūbah, Tūnis.

[12] Laḥmidānī, Ḥamīd, Saḥar al-mawḍū‘, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 2014m, Maṭba‘at Ānfū Brānt, Fās.

[13] Laḥmidānī, Ḥamīd, Binyat al-naṣṣ al-sardī min manẓūr al-naqd al-Adabī, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1991m, al-Markaz al-Thaqāfī al-‘Arabī lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr.

[14] al-Qalqashandī, Aḥmad, taḥqīq : Ṭawīl, Yūsuf, Ṣubḥ al-A‘shá fī ṣinā‘at al-inshā, Ṭ1 1987m, Dār al-Fikr, Dimashq.

[15] Buḥayrī, Sa‘īd, ‘ilm Lughat alnṣ-al-mafāhīm wa-al-ittijāhāt, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1997m, Maktabat Lubnān Nāshirūn.

[16] ‘Uṣfūr, Jābir, qirā’ah al-Turāth al-naqdī, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1994m, ‘Ayn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, al-Qāhirah.

[17] Ḥamdāwī, Jamīl, naẓarīyāt al-qirā’ah fī al-naqd al-Adabī, al-Ṭab‘ah al-thāniyah 2020m, Dār al-rīf, Tiṭwān.

[18] Twdwrwf, tzfytān, tarjamat : Adīwān, Muḥammad, al-qirā’ah kbnā’, 1989m, Majallat al-Fikr al-‘Arabī al-mu‘āṣir ‘60/61, Markaz al-Inmā’ al-Qawmī, Lubnān.

[19] al-Suyūfī, Muḥammad, Malāmiḥ al-tajdīd fī al-nathr al-Andalusī khilāl al-qarn al-khāmis al-Hijrī, al-Ṭab‘ah al-ūlá 1985m, ‘Ālam al-Kutub, Bayrūt.

[20] Murtāḍ, ‘bdālmlk, Naẓarīyat al-qirā’ah, ṭ2003m, Dār al-Gharb lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Wahrān.

[21] al-Daghmūmī, Muḥammad, Naqd al-naqd wa-tanẓīr al-naqd al-‘Arabī al-mu‘āṣir, ṭ1999m, Maṭba‘at al-Najāḥ al-Jadīdah, al-Bayḍā’.